

أشواق أندلسية

للدكتور حامد طاهر

فى أسبانيا

حيث الطبيعة الساحرة

والمدين العريقة

والشعب الذى يمتلئ بالحيوية ،

والإقبال على الحياة

يوجد وعى بالتاريخ

واعتزاز بالمحاضر

وتطلع نحو الأفضل ..

في أسبانيا

خلف القشرة الحضارية الحديثة

يقبع ماضي المسلمين

بكل عظمته وجلاله :

قلاع شامخة

وحداثق منسّقة

وقصور كانت تستقبل السفراء

من كل بلاد العالم

وما زالت زخارف الجدران

تحمل عبارة : لا إله إلا الله

في أسبانيا

حيث لم يمض على فتح القسطنطينية

أكثر من أربعين عاما فقط

حتى تم تقويض دولة الأندلس

وتحويل أروع مساجدها إلى كنائس

وطرد المسلمين جميعا من كل ربوعها

أما من بقوا منهم

فقد أجبروا على ترك الإسلام

والتدين بالنصرانية

والله وحده هو الذي يعلم

كيف كانت مشاعرهم الدينية

وهم يؤدون الطقوس الكنسية !

في أسبانيا

بلغ التعصب الديني مداه

وعقدت المحاكم

للبحث في عقائد الناس

ولذلك اشتهرت بمحاكم التفتيش

التي صادرت أسوأ بقعة

في سجل العصور الوسطى

.. . .

لكن الزمن ما لبث أن أطفأ

جذوة المتعصب

وبدأ يحل محلها

نسيم مخفف من التوازن والعقلانية

وأخيراً أدرك الأسبان

أن حضارة المسلمين

التي سبق أن حاربوها بقسوة

هي التي تضيف إليهم

الكثير من الخصوصية والتفرد

وصاروا يرون السياح الأجانب

يقفون مبهورين

أمام المعالم الباقية

من حضارة الإسلام

في الممدن الأندلسية

في أسبانيا

تخصص عدد من الباحثين

في دراسة تراث المسلمين في بلادهم

وراحوا يتتبعون بكل دقة

ما أضافه هؤلاء إلى ماضيهم ،

وحاضرهم على السواء

بل إنهم أصبحوا يتعاونون

مع زملائهم العرب

فى إزاحة الغبار المتراكم

على الحضارة الإسلامية

والتي صارت جزءا لا يتجزأ

من التاريخ الأسباني نفسه

والى أسبانيا

ما زال بعض المسلمين حتى اليوم

يتطلعون إلى تلك الصفحة المشرقة

المسماة بالأندلس ،

بل إن بعضهم يتوقع عودتها من جديد

أملًا فى أن التاريخ قد يعيد نفسه

لكن هيهات !

فقد تحولت القسطنطينية إلى استانبول

وانتهت الأندلس إلى أسبانيا

والمقانون المقرر أنى يقول :

(إن الأرض لله

يورثها من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين)
